

11/06/2019 كتاباتكم

دارين العبدالله: مدهشات الثورة السورية



مدهشات الثورة السورية

أمور كثيرة في الثورة السورية يراها البعض طبيعية وعادية مع أنها في منتهى الغرابة والشذوذ! ولا ينبغي أن تؤمن بها ونتبناها بل لا يصح في الأصل أن نراها.. تلك الأمور انتشرت إلى درجة أنها صارت مألوفاً وشاعت إلى حد أنها صارت معروفة.. وقلما تجد من ينكرها، مع أن وجودها يشكل عناصر الأزمة ويضر بمسيرة الثورة السورية المباركة.. ومن يراها من خارج المشهد السوري سيتعجب من وجودها ومن تخدر الناس بها والتعايش معها.

من تلك الأمور المستهجنة قبول البعض بروسيا كوسيط سلام تنعقد الحلول عنده.. ويلتفون حوله لتلقي الأوامر والتوجيهات ونيل الرضا والقبول وللحصول على بعض المكاسب الرخيصة.. لقد نظر هؤلاء إلى روسيا كطرف قوي وفاعل في الحدث السوري فلهثوا وراءه ييغون مرضاته.. ولو نظروا إليها كطرف مجرم أذاق الشعب السوري ويلات القصف والدمار لعملوا على تعريته وإدانته ولتحدثوا عن ضرورة محاكمته.. كل جهة في العالم قد تصلح أن تكون حكماً في المشهد السوري لكن القاتل المجرم لا يمكن تخيل أن يكون كذلك.. بل ذهب البعض إلى توصيف الروس بأنهم قوم يريدون مصالحهم وعلينا أن نفاوضهم على ذلك متجاهلين أن من ينشد المصلحة لا يصنع المذبحة للوصول إلى مبتغاه.. وبالنتيجة فإن روسيا عدو مجرم محتل ظالم ولا يمكن تصوره غير ذلك ولا التعامل معها إلا بناء على ذلك.

ومن الأمور المستهجنة في الثورة السورية حالة التشردم والتفكك التي طغت على الحالة الثورية وخاصة العسكرية منها حتى صارت سمة من سمات المشهد الثوري يراها معظم الناس أمراً طبيعياً.. هو التفرق الذي بلغ ذروته مع تجاوز التحديات والمصائب كل الحدود المألوفة.. والمصائب تجتمع الناس كما أفادت التجارب البشرية فما بالها لا تجمع بين المتشابهين حتى في صفوف ثورة الكرامة والتاريخ؟.. إن عدد الفصائل الثورية أكثر من أن تحصى والغريب في الأمر أن معظمها يحمل المسميات الإسلامية أو الشامية لكنها مع ذلك لا تتوحد وقد فشلت كل



الجهود الرامية إلى ذلك.. ويا ليت تفرق الفصائل كان تبعاً للأقاليم السورية بحيث يسيطر على كل إقليم فصيل معين لا يشاركه في ذلك غيره، لكننا وجدنا أن كل الفصائل تحشر نفسها في كل مكان، ولا تتحد فيما بينها، بل تتنازع في بعض الأحيان سامحة لقوات الخصم بالتقدم.

ومن المدهشات السائدة في الثورة السورية أن تجد من يؤيد التنظيمات القاعدية على الرغم من اعتدائها المتكررة على الناس والثورة.. ولو قتلت تلك التنظيمات الإرهابية التي صنعها النظام عدداً كبيراً من الثوار والناشطين ثم زعمت أنها قتلت من النظام لاحقاً عدداً قليلاً فإن البعض يهمل ويكبر لها وكأنها أنجزت النصر المؤزر والفتح المظفر، مع احتساب أن تلك التنظيمات الصنعية تكفر من يحييها وتحكم عليه بالردة ما دام مؤيداً لثورة الكرامة والإنسان.

أما الأمور الأكثر إدهاشاً في الثورة السورية فتلك المتعلقة بالخطاب الثوري والرؤية الثورية السائدين لدى عدد كبير من المتقنين.. فلو هبط شخص من كوكب آخر وأعطى أذنه لما يتداوله كثير من المحسوبين على إعلام الثورة ومثقفها فسوف يشقى في تحديد العدو الذي يدور معظم الحديث عنه.. بل سوف يعيا في تحديد القضية المركزية التي تشغل القوم لأنه سيجد أعداء كثر يجري الحديث عنهم، وسيجد قضايا أخرى تحظى باهتمام النخب السورية كالقضية السورية أو أكثر.. وكأن عدواً واحداً متمثلاً بثالوث الشر «إيران واللائظام وروسيا» لا يملأ رؤوسهم.. وكأن لديهم فائضاً من الوقت والجهد يمكن أن يبذله في قضايا أخرى! تلك بعض المدهشات التي انتشرت في واقع الثورة السورية وأدبياتها وما أكثرها وما أكبرها وما أقل المهمين بها.. لكن علينا الإقرار بأن اندلاع الثورة السورية الأعظم هو الحدث الأكثر إدهاشاً على مر العصور فلم يكن أحد يتوقع أن تقوم ثورة في سوريا فقامت أم الثورات ومعجزة الثورات.